﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرّعد: 24]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تكملة مشهد المتّقين في الجنّة، وبيان التّبشير والإكرام مِنَ الملائكة الكرام

لمّا قال سبحانه في الآية السّابقة: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾، بيّن في هذه الآية سببَ دخولهمُ الجنّة – بعد أن ذكر من قبلُ إلقاءَ التّحيّة عليهم، وتبشيرهم بسلامٍ دائم، يدوم بدوامهم في جنّات عدن – وهو صبرهم على طاعة اللّه، وعن معاصيه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَبَرۡتُمۡۚ﴾: أصل (صبر) يدلُّ على الحبس والإمساك في ضيق، يقال: صَبَرْتُ الدّابّةَ: حبستُها بلا عَلَف، والصَّبْرُ لفظ عامّ، وهو حبسُ النّفسِ على ما يقتضيه العقلُ والشَّرع، وهو الصّبر على الطّاعة، أو حبسها عمّا يقتضيان حبسَها عنه[1]، وهو الصّبر عنِ المعصية. ومنه نوع ثالث: وهو الصّبر على البلايا والمصائب، وتعريفه: هو تركُ الشّكوى مِن ألم البلوى لغير اللّه، لا إلى اللّه[2]. وفي الآية: لفظ الصّبر يجمع المعانيَ الثّلاثةَ.

2) ﴿فَنِعۡمَ﴾: أصل (نعم) يَدُلُّ على تَرَفُّهٍ وطيبِ عَيْشٍ وصَلاحٍ، و(نِعْمَ) كلمةٌ تُسْتَعْمَلُ في المَدْحِ، كما تُستعمل (بِئْسَ) في الذَّمّ، يقال: إنْ فَعَلْتَ ذاكَ فَبِها ونِعْمَتْ، أي: نِعْمَتِ الْخَصْلَةُ هي. وقد وردت في القرآن الكريم في مقام المَدح، ومِن ذلك قولُه تعالى: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٣٠﴾ [ص: 30]، وقولُه تعالى: ﴿نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾ [الأنفال: 40][3].

(1) الرّاغب، المفردات: (صبر).
(2) الجرجانيّ، التّعريفات، ص: 131.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (نعم).

❁ المَعْنى الإجْماليّ:

سـلامُ الملائكة على أهل الجنّة، وتـبـشـيرُهـم بحُسْن العاقبة، كِفاءَ صبرهم

بيّنت هذه الآيةُ تحيّةَ طوائفِ الملائكة الّذين يتوافدون على أهل الجنّة، مِن أبوابهم الخاصّةِ بهم، المُعَدّة لهم، وبُشْراهُم لهم هي السّلامُ؛ ليطمئنوهم بأنّهم في عاقبتهم الحسنة في الجنّة سالمون، مِن كلّ آفة أو تنغيص، آمنون مِن كلّ خَوف، ويُعْلِن لهم الملائكةُ أنّ تلك المنزلةَ إنّما استحقّوها بصبرهم على طاعة الله، وبصبرهم على ترك المعاصي، وعلى ما ينزل بهم مِن بلاء، فَلْيَنْعَموا في دار القرار، بالجنّة عقبى الدّار.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيّ:

دلالة فصل هذه الجملة عمّا قبلها:

بـلاغـة شبه كمال الاتّصال في الجملة

هذه الجملة وقعت تعليلًا لدخول الملائكة على أهل الجنّة، أي: يدخل الملائكةُ عليهم؛ لأجل أن يُحيّوهم بالسّلام، ويُبشّروهم به أبدًا، ما داموا في عقبى الدّار. وعلى هذا ففي الجملة شبهُ كمالِ اتّصال.

دلالة حَذْفِ القول في: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾:

حـذْفُ القول للعِلْم به، مِن فصيح البيان

جملة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ مقولُ قولٍ محذوف للعِلْم به؛ لأنّ هذا لا يكون إلّا كلامًا مِنَ الدّاخلين الجنّةَ[1]، وفيه إشارة إلى أنّ دخول الملائكة عليهم، هو في حَدّ ذاته سلامٌ وأمنٌ، وتحيّةٌ حيّةٌ ولو لم ينطقوها، ولهذا لم يجئ: (يقولون سلام عليكم)، بل جاء هكذا ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾[2].

سرّ التّعبير عن تحيّة الملائكة، بقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾:

تـأنـيـس أهـل الجنّة بالسّلام، مِـن دواعـي الـتّـبـجـيـل والاحترام

سِرّ التّعبير عن تحيّة الملائكة بقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾، القصد منه تأنيسُ أهل الجنّة، وتبشيرُهم بالسّلام والأمان في دار مقامهم.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/132.
(2) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 5/106.

دلالة التّنكير في ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾:

التّلطّف بأهل الجنّة، في صيغة الخطاب

دلّ التّنكير بقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾ دون التّعريف: (السّلام عليكم)، على التّلطّف بهم[1]، وعلى عِظَم هذا السّلام، وفخامَةِ شأنه؛ لأنّه مِنَ الله تعالى، وبإلقاءِ خاصّةِ ملائكته، وهذا وفْقَ ما اعتاده العربُ في أنّ السّلام دعاءٌ وطلب، وهم في ألفاظ الدّعاء والطّلب إنّما يأتون بالنّكرة إمّا مرفوعةً على الابتداء، أو منصوبةً على المصدر[2].

دلالة تعدّي السّلام بـ(على) دون اللّام:

قول (سلامٌ عليكم) محمول على الحكاية أو التّضمين

إنّما عُدّي ﴿سَلَٰمٌ﴾ بـ ﴿عَلَيۡكُم﴾ دون (اللّام)، في قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾، أي: دون (سلامٌ لكم) لسببين؛ الأوّل: كونه تحيّةً، والتّحيّةُ واردة هكذا، ومَحْكيةٌ كما صدرت مِنَ الملائكة[3]. أمّا قول: (سلام لكم)، فقد يُحْمَل على الدّعاء وليس التّحيّة، فضلًا عن كونه خلافَ ما صدر عنِ الملائكة، إذا حُمِلَ على الحكاية. الثّاني: تَضَمَّن السّلامُ معنى الأمان، أي: أمان عليكم.

دلالة التّعبير بالجملة الاسميّة:

ثبوتُ السّلام لأهل الجنّة واستقرارُه؛ ليبقى لهم الرّغد الدّائم

دلّ التّعبير بالجملة الاسميّة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾ على ثبوت السّلام لهم واستقرارِه، دونَ تقييدٍ بحَدَثٍ ولا زَمَنٍ، فهو ثابتٌ لهم أبدًا.

دلالة الباء في قوله: ﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾:

صبرهم سبب نعيمهم، وأُسُّ فلاحِهم في العقبى

الباء في قوله: ﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ هي باء السَّببيَّة، وقد دَلّت على السّبب الّذي مِن أجله حَظوا بعقبى الدّار، والمعنى: نالكم هذا التّكريم بالسّلام، بسبب صبركم، ويجوز أن تكون الباء بمعنى البدل، أي: بدلَ ما احتملتُم مِن مشاقّ الصّبر ومتاعبه، هذه المَلاذّ والنِّعَم[4].

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/103.

(2) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 2/178.

(3) وحكى نحوه ابنُ عاشور عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌۚ﴾ [يونس: 10]، يُنظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/103.

(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/387.

سرُّ اختيار الصّبر دون بقية الصّفات المذكورة لهم:

الـصّـبر مـركـز كـلّ الـصّـفات، وسبيل الحماية والنّجاة

أوثِرت صفةُ الصّبر سببًا للمنزلة العظيمة الَّتي حَلّوا فيها؛ لأنّها الصّفةُ المَركزيَّة لكلّ الصّفات، فكلّ الصّفات تحتاجُها، فصفاتُ الطّاعة ومقاماتُها تحتاج الصّبرَ، وإلّا ما استطاع المُطيعُ المواصلةَ والاستمرارَ على مَشَقّة التَّكليف، وكذا البُعْد عنِ المعصية والصّفاتِ الدّالّةِ عليها تحتاج الصّبرَ، وإلّا ما استطاع المُكلّفُ مقاومةَ الإقبالِ على المعاصي والشّهوات والمنكرات؛ لأنّ الصّبر هو المَطيّة الذّلولُ الّتي بلغت بالمؤمنين هذا المبلغَ الكريم.

سرّ العدول إلى المصدر المؤوّل ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾:

كـمـالُ الأجـرِ في التّحقّق بالصّبر؛ لأنّـه مفتاحُ ما يُرْجَى

عُدِلَ عنِ المصدر الصّريح (صبركم)، إلى المصدر المؤوّل ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾، للدّلالة على تحقّقهم بصفة الصّبر، وأنّهم قد بلغوا منها رتبةَ الكمال، وأنّهم مع كلّ طاعة يفعلونها في زمنها، يتحقّق الصّبرُ معهم؛ فكأنّه يتجدّد في زمن الطّاعات، ولا يتأتّى ذلك مِنَ المصدر الصّريح.

دلالةُ حذفِ المخصوص بالمَدح:

المـخـصـوص بالمَدح معلومٌ، ممّا سوّغ حذفَه اختصارًا

قوله: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾، فيه أنّ المخصوص بالمَدح محذوف؛ لدلالة مقام الخطاب عليه. والتّقدير: (فنعم عقبى الدّار دار عُقْباكم)[1].

سرّ اختلاف فاصلة هذه الآية عن سابقتها:

(عـقـبـى الـدّار) وعْـدٌ وتحقيقٌ، لِمَن هو به حقيق

الاختلاف بينَ الفاصلتين، سببُه التّرتيبُ الوجوديُّ، قبل دخول الجنّة وبعدَه؛ لأنّ قوله في الآية الأولى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾، كان مُجرّد وعْد لهم، بأنّه ستكون لهم عقبى الدّار، وذلك قبلَ أن يدخلوها، وأمّا قولُه تعالى: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾، فهو وصف للجنّة بعدَ أن دخلوها.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/132.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيّةُ:

السّلام والتّحية:

كلّ سلامٍ تحيّةٌ، وليس كلّ تحيّة سلامًا

النّسبة بينَ التّحيّة والسّلام، هي نسبة عموم وخصوصٍ مُطلَق، فكلُّ سلامٍ تحيَّة، وليس كلّ تحيّة سلامًا؛ وذلك أنّ التَّحية أعمّ مِنَ السَّلام، حيثُ يدّخل في التَّحية قول: "حيّاكَ الله، ولَكَ الْبُشْرَى، ولَقيتَ الْخَيْر"، كما قال المُبَرّد. فهذا تحيّة، ولا يُقال له (سلام). قال أبو هلال: "إنَّما السَّلام قَوْلُكَ: سَلامٌ عَلَيْك"[1]. وممّا يؤكّد الفرق بينهما: استخدام القرآنِ للّفظين معًا في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: 61] فاجتماعُهما في آية واحدة دليلٌ على التّفريق بينهما، وأيضًا على أنّ التّحيّة أعمّ مِنَ السّلام.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 59.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 24 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-21-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 24 : المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-21-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1718375 بتاريخ 2024/02/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»